

محاضرة فى مؤتمر العقيدة Dogma II

بالمركز الثقافى القبطى الأرثوذكسى بالقاهرة

الكنيسة المقدسة ودورها الرعوى فى خلاص الإنسان

٢٠١٦/٦/١٨ م

إعداد

الأنبا بيشوى

لا خلاص خارج الكنيسة، لأنه لا خلاص بدون الأسرار الكنسية فسر المعمودية والمسحة لازمان للخلاص، وسر الإفخارستيا "يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياءً أبدية لمن يتناول منه"، وسر الكهنوت هو المتمم للأسرار وبالسلطان الذى أعطاه الله للأبء الرسل وخلفائهم يتم غفران الخطايا للتائب المعترف فى سر التوبة والإعتراف ويؤهل للتناول من جسد الرب ودمه. وحتى سر المعمودية وهو أول الأسرار يسبقه إعتراف أمام الكاهن ويتم منح التحليل أثناء صلوات المعمودية نفسها لأن الغفران يتم فى المعمودية.

لا خلاص خارج الكنيسة، لأن الطقوس الصلوات الليتورجية من قداسات، وصلوات، وصلاة الأجيبة، والأصوام والميطانيات إلخ. بما فيها من إنسحاق، وطلب للمغفرة، وطلب للمعونة، وشعور بعدم الاستحقاق، وحث على الاستمرار فى الجهاد، وفى حياة التوبة المستمرة، والنمو فى الثمر الروحى، وحياء الفضيلة، والثبات فى المسيح، كلها حتمية ولازمة للخلاص.

لا خلاص خارج الكنيسة، لأننا كنيسة رسولية تعتمد على التعليم والتسليم الرسولى لذلك نحن نستقى من الكنيسة الإيمان المسلّم مرة للقديسين والذى حفظته كنيستنا على مدى الدهور، ولأن الكنيسة هى التى تقاوم البدع وتدافع عن الإيمان القويم. لقد قاومت الكنيسة الغنوسيين وأوريغانوس وأريوس ونسطور وأبوليناريوس وسابليوس ومقدونيوس وغيرهم وحمت أولادها من سموم هذه الهرطقات الخطيرة التى تتسبب فى فدان أباديتهم. ولولا آباء الكنيسة الذين تصدوا لهذه الهرطقات لما وصل لنا الإيمان نقياً أصيلاً إلى يومنا هذا، ولما كان حالنا الآن هو ما نحن عليه. ومن أجل أهمية التعليم الصحيح وضعت الكنيسة الأولى نظم دقيقة لتعليم الموعوظين ووضع أن يكون الاعتراف بالإيمان السليم أساساً وشرطاً للمعمودية التى تعترف بها الكنيسة المقدسة.

فكيف يروج البعض ممن يدعون أنهم مسيحيون في هذه الأيام على الإنترنت وفي مؤتمرات متنوعة عن الخلاص خارج الكنيسة؟ بل ويتجاسرون أن يهاجموا أسرار الكنيسة التي أسسها الرب يسوع المسيح بنفسه، معتبرين أنها أشياء عتيقة بالية. ويروجون لذلك تحت ستار مواهب كاذبة للروح القدس مثل الرطانة بلغات غريبة والوقوع على الأرض وما يشبه ذلك.

أولاً الأسرار المقدسة

✠ سر المعمودية والميرون

المعمودية هي المدخل لباقي أسرار الكنيسة فهي الباب الذي يبدأ به الإنسان الدخول إلى الكنيسة.. وكنيستنا بها سبعة أسرار مقدسة: سر المعمودية، وسر الميرون، وسر الاعتراف، وسر تناول من جسد الرب ودمه، وسر مسحة المرضى، وسر الزيجة، وسر الكهنوت؛ فلا يمكن أن يمارس أى سر من هذه الأسرار الكنسية إلا عن طريق الدخول بالمعمودية التي تعطينا الحق أن ننال سر المسحة بالميرون.. وأن نمارس سر الاعتراف.. وأن نتناول من جسد الرب ودمه.. وننال سر مسحة المرضى.. وسر الزواج.. وسر الكهنوت..

ضرورة المعمودية للخلاص

في العهد الجديد، جعل ربنا يسوع المسيح المعمودية شرطاً ضرورياً للخلاص. ففي إرساليته لتلاميذه قال "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَكْرِّزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدْنُ" (مر ١٦: ١٥، ١٦). ولم يقل أن الخلاص يكون نتيجة للإيمان وحده بل أن الإيمان مع المعمودية هو ما يجلب الخلاص.

وبالتالى، أوصى الرب تلاميذه قائلاً "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ" (مت ٢٨: ١٩). ومؤكداً على أهمية المعمودية قال لنيقوديموس "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (يو ٣: ٥).

يقرر مجمع قرطاجنة السابع (٢٥٦م) برئاسة القديس كبريانوس بوضوح:

"إن لم ينالوا العماد المخلص في الكنيسة الجامعة الواحدة، لا يمكنهم أن يخلصوا، ولكنهم يدانون مع الجسدانيين في دينونة الرب يسوع."^١

¹ Ante Nicene Fathers, Vol. V, *The Seventh Council of Carthage Under Cyprian Concerning the Baptism of Heretics*, p. 566.

ويقول القديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) عن المعمودية:
"أنها سر الخلاص الأبدي".^٢

ويقول القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٣-٣٨٦م)
"أى إنسان لا يقبل المعمودية فلا خلاص له".^٣

وعن الارتباط بين الإيمان والاعتراف بالثالوث وبين المعمودية على إسم الثالوث الآب والابن والروح القدس، يقول القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م):

الإيمان والمعمودية هما طريقان للخلاص لا يُمكن فصلهما لأن الإيمان يكمل بالمعمودية،
والمعمودية مؤسسة على الإيمان وكلاهما مؤسس على الأقانيم الثلاثة.^٤

ويقول القديس أثناسيوس الرسولي (٢٩٦-٣٧٣م):

"فإن المخلص لم يأمر فقط بالعماد، بل قال أولاً "تلمذوا" ثم بعد ذلك قال "عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"، لكي يأتي الإيمان المستقيم من التعليم ومع الإيمان يأتي إتمام المعمودية.

وهناك هرطقات أخرى كثيرة تذكر الأسماء فقط، ولكن بدون إعتقاد مستقيم -كما سبق أن قيل- وبدون إيمان سليم. ولذلك فالمعمودية التي يعطونها عديمة الجدوى وتعوزها التقوى، حتى أن من يعمدونه يتلوث بالحادهم بدلاً من أن يفتدى.^٥

إذن لا يخدع أحد نفسه بأنه من الممكن أن يدخل ملكوت السماوات بدون سر المعمودية. حتى إذا كان طفلاً صغيراً وإلا كيف تُغفر الخطية الجدية إن لم تتم معمودية الأطفال!!؟

أما سر المسحة المقدسة الذي نسمّيه نحن "سر الميرون" فقد كان في حلول الروح القدس في يوم الخمسين، على كل المؤمنين المجتمعين في العُلّية من رجال ونساء... وبعد ذلك كان الرسل يمنحون هذا السر بوضع أيديهم ثم صار السر يُمنح بالمسح بالميرون المقدس.

² N.&PN. Fathers, series 1, Vol. V, St. Augustine, *On forgiveness of Sins and Baptism*, Chapter 23, p. 24.

³ N.&PN. Fathers, series 2, Vol. VII, Cyril of Jerusalem, *Catechetical Letters*, Lecture 3, On Baptism, point 10, p. 16.

⁴ الروح القدس، القديس باسيليوس الكبير، إصدار الكلية الإكليريكية، مطرانية الغربية للأقباط الأرثوذكس، الطبعة الرابعة ٢٠١٤، الفصل العاشر، الفقرات ٢٤ - ٢٥، ص ٩٧.

⁵ N.&PN Fathers, series 2, Vol. IV, St. Athanasius, *Second Discourse Against Arians*, Chapter 18, par. 42, 43, p. 371.

✠ سر الكهنوت وسر التوبة والاعتراف

فى سفر الأعمال ذكر "وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرّين ومخبرين بأفعالهم" (أع ١٩ : ١٨). وفى رسالة يعقوب الرسول عندما قال "أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفى المريض، والرب يقيمه. وإن كان قد فعل خطية تغفر له" (يع ٥ : ١٤، ١٥) ولئلا يظن البعض أنه بدهن المريض بالزيت والصلاة من أجله، تغفر له خطايا؛ أكمل مباشرةً وقال "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات، وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا، طلبه البار تقتدر كثيراً فى فعلها" (يع ٥ : ١٦). فعندما قال: إن كان قد فعل خطية تُغفر له، استدرك سريعاً وقال "اعترفوا" أى لا تُغفر لهذا المريض الخطية إلاّ إذا اعترف. ولئلا يظن أحد أنه يكفى أن يعترف فى سرّه، قال "اعترفوا بعضكم لبعض" .. يفسّر البروتستانت هذه الآية بقولهم إنه من الممكن أن يعترف الإنسان لأى شخص من الإخوة! .. لا، لم يقل الرسول هذا، بل قال "أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة" (يع ٥ : ١٤).

يقول معلمنا بولس الرسول: "هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرّ الله. ثم يُسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً" (١كو ٤ : ١، ٢).. بولس الرسول هو وكيل سرّ.. ويقول نحن خدام للمسيح ولكن وكلاء للأسرار.. فالسيد المسيح صعد إلى السماء وأقام وكلاء له فى الكنيسة.. ويستطيع الوكيل أن يقوم بالعمل المكلف به من صاحب المصلحة.

لا يُمارس الاعتراف على أى شخص، بل هناك وكيل، وقد قال السيد المسيح للرسول "الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء" (مت ١٨ : ١٨).

فى يوم أحد القيامة عندما ظهر السيد المسيح لتلاميذه أثناء اجتماعهم وقال لهم "سلام لكم كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ و قال لهم اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم تغفر له و من امسكتم خطاياهم امسكت" (يو ٢٠ : ٢١-٢٣)، فأعطاهم موهبة الكهنوت بسلطان الروح القدس بصورة مميّزة عن حلول الروح القدس فى يوم الخمسين. وهذه الموهبة هى لسلطان مغفرة الخطايا..

بذلك يتضح لنا أن الأسقف هو وكيل الله لأنه يستطيع بسلطان الروح القدس أن يمنح الحل "من غفرتم خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت" (يو ٢٠: ٢٣) فإذا لم يسمع الاعتراف، فكيف يعرف إن كان هذا الشخص تائباً أو غير تائب، وكيف بذلك يغفر للبعض خطاياهم أو يمسك للبعض الآخر خطاياهم؟!..

✠ سر الإفخارستيا

سر التناول المقدس أو سر الإفخارستيا $\epsilon\upsilon\chi\alpha\rho\iota\sigma\tau\acute{\iota}\alpha$ (أى سر الشكر) حسب إيمان الكنيسة الأرثوذكسية هو إننا نتناول جسد حقيقي ودم حقيقي تحت أعراض الخبز والخمر. وهذا تسميه الكنيسة السر العظيم الذى للتقوى "عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد" (١تى ٣: ١٦).. فهذه هى ذبيحة الخلاص الحقيقية التى سلمها السيد المسيح لتلاميذه فى ليلة آلامه قبل صلبه مباشرة، يسميها البعض العشاء الأخير، ويسميها البعض الآخر العشاء الربانى، ويسميها آخرون العشاء السرى.

الكنيسة لا تستطيع أن تعيش الخلاص وتتلامس معه إلا فى سر التناول المقدس. فى كل صلاة قداس، يكون دم المسيح حاضراً فى الكأس، لذلك قال "هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى".. نعيش العهد الجديد؛ ليس كتذكار ضاع وانتهى؛ ولكن كتذكار حى قائم ممتد. لذلك قال "اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى" (١كو ١١: ٢٥).

وقد شرح القديس بولس الرسول هذا بأكثر وضوح وقال "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء" (١كو ١١: ٢٦). لذلك نقول إنه تذكار حى وليس مجرد تذكار رمزى.. فنحن نُخبر بموت الرب لأن ذبيحة الصليب بجسد الرب ودمه تكون حاضرة بالفعل فى وسطنا. فإذا كان دم المسيح الذى سُفك على الصليب هو نفسه الذى يكون حاضراً فى القداس؛ فليس هناك تذكار أقوى من ذلك.. ونُخبر بموت الرب عندما نشرب من هذه الكأس لأننا نؤمن أن ما بداخل الكأس هو دم حقيقى تحت أعراض الخمر. ولا يمكننا أن نُخبر بما لم نراه ونختبره. فالذين أُخبروا بالقيامة؛ هم شهود القيامة، والذين يخبرون بموت الرب؛ هم شهود موته. لذلك فنحن نُخبر بموت الرب وقيامته وأيضاً بمجيئه الثانى لأننا نختبر هذه الأمور اختباراً حقيقياً فى سر التناول المقدس.

يقول القديس بولس الرسول "أقول كما للحكماء، احكموا أنتم في ما أقول كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح" (١كو ١٠: ١٥، ١٦).

لقد بارك السيد المسيح على الكأس في ليلة آلامه وقال "اشربوا منها كلكم. لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦: ٢٧، ٢٨). فإذا كان السيد الرب نفسه يقول هذا هو دمي، فمن يستطيع أن يقول إن هذا هو رمز فقط؟ ألا نؤمن بصدق كلمات السيد المسيح؟! وكيف للرمز أن يغفر الخطايا؟! لكننا نتناول من جسد الرب ودمه لمغفرة الخطايا كما قال السيد المسيح "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦: ٢٨).

يقول القديس بولس الرسول "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء" (١كو ١١: ٢٦)، نفهم من هذه الآية أن فاعلية موت المسيح المحيي الذي قتل الموت بموته تسرى في كياننا وفي داخلنا عندما نتناول من هذا الدم. لذلك يكمل القديس بولس كلامه ويقول "إذاً أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه" (١كو ١١: ٢٧). فكيف يكون مجرماً إن كان هذا دماً ليس حقيقياً أو جسداً ليس حقيقياً!!! "ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميّز جسد الرب" (١كو ١١: ٢٨-٢٩).. أى أنه غير مميّز إن كان جسد الرب الذي بالصينية هو جسد حقيقي أم أن هذا مجرد شئ رمزي أو تذكاري.

مذبح الرب الذي هو مائدة الرب في الإفخارستيا؛ هو نفسه الصليب.. فذبيحة الصليب هي واحدة لا تتكرر، لكنها تمتد. لم تمتد ذبيحة الصليب بعدها فقط، بل امتدت قبلها أيضاً، بدليل أن السيد المسيح قدّم جسده ودمه في ليلة آلامه بنفسه قبل صلبه. فذبيحة الإفخارستيا (سر الشكر) من الممكن أن تمتد عبر الزمان لأن هذا سر فائق وسر إلهي نقول عنه في القداس الإلهي [ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى] "عظيم هو سر التقوى" (١تى ٣: ١٦) ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم الذي كانت فترة حياته من سنة ٣٤٧م إلى سنة ٤٠٧م:

"ألستا نحن نقدم كل يوم قرابين؟ نعم نقدم، ولكننا نضع تذكارات موته. وهذه الذبيحة التي نقدمها كل يوم هي واحدة لا أكثر لأنه قدّم مرة واحدة. لأننا دائماً نقدم حملاً واحداً بعينه، ولا نقدم الآن خروفاً وغداً خروفاً آخر، بل الحمل نفسه دائماً. فالذبيحة إذن هي واحدة. أو هل المسحاء

كثيرون، لأن الذبيحة تُقدّم في محلات كثيرة؟ حاشا، لأن المسيح واحد في كل مكان وهو هنا بكليته جسد واحد. وكما أنه يُقدّم في أماكن متعددة ولا يزال جسداً واحداً لا أجساداً كثيرة هكذا الذبيحة هي أيضاً واحدة.^٦

سر الإفخارستيا هو مركز الخلاص في الكنيسة:

- ففي سر المعمودية، عندما نعمد طفل، نقوم بمناولة هذا الطفل بعد العماد.
- وفي سر الميرون، نقوم برشم المعمّد بالميرون ثم التناول.
- وأيضاً في سر الاعتراف، يحضر الشخص للاعتراف لكي يحال من خطاياہ بسطان الروح القدس من الأب الكاهن ويستحق أن يتقدم للتناول من الأسرار المقدسة.
- وفي سر الكهنوت، عندما نرسم شماساً للقسيسية، يكون ذلك أثناء القداس الإلهي ويتناول جسد الرب ودمه في هذا القداس نفسه.
- وأيضاً كان سر الزواج يتم بين رفع بخور باكر وبين القداس ويتناول العروسان بلفافة واحدة عند توزيع الأسرار في نهاية القداس.
- وعندما نقوم بعمل سر مسحة المرضى يكون يوم جمعة ختام الصوم بين رفع بخور باكر والقداس، وإن قمنا به في المنزل نصلي ونطلب من الرب شفاء المريض حتى يستطيع الذهاب إلى الكنيسة والتناول مع الشعب وإذا لم يستطع ذلك؛ من الممكن أن يناوله الأب الكاهن في المنزل.
- فكل أسرار الكنيسة السبعة مركزها هو جسد الرب ودمه (سر الإفخارستيا) لذلك عندما يبخر الكاهن يدور حول المذبح بالبخور وذلك لكي يؤكد أن المذبح هو مركز عمل الخلاص، وهو حضور ذبيحة الصليب في الكنيسة..

٦ من عظات للقديس يوحنا ذهبي الفم على العبرانيين مقالة ١٧.

ثانياً الصلوات الكنسية

تضع الكنيسة باستمرار العقيدة في داخل الطقس. فصلاة القديس تتضمن كل قصة الخلق والسقوط وكل قصة الخلاص والفداء. فالقديس هو تذكار (ἀνάμνησις) أنامنيسيس) لموت المسيح وقيامته وصعوده وجلسه عن يمين الآب وظهوره الثاني الآتى من السموات المخوف المملوء مجداً.

الأجبية بالمزامير والقطع فى الطقس:

هناك علاقة وثيقة بين صلوات الأجبية وبين العقيدة الأرثوذكسية.. فالأجبية من مزامير وقطع الصلوات؛ هى تراث مُسلم من الآباء، وهى نظام قديم منذ القرون الأولى للمسيحية، فقد قيل أن بطرس ويوحنا صعدا إلى الهيكل وقت صلاة الساعة التاسعة (أع ٣: ١).. أى أن صلوات السواعى كانت مستخدمة فى الهيكل فى زمن الآباء الرسل وعند اليهود.. لذلك منذ العصور الأولى للمسيحية بدأت الكنيسة ترتب صلوات السواعى الخاصة بها.

ويقول معلمنا بولس الرسول: "مَتَى اجْتَمَعْتُمْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَهُ مَزْمُورٌ لَهُ تَعْلِيمٌ لَهُ لِسَانٌ لَهُ إِعْلَانٌ لَهُ تَرْجَمَةٌ: فَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لِلْبُنْيَانِ" (١كو ١٤: ٢٦).

نحن نصلى صلوات الأجبية ونتمتع بها ونحيا روحانياتها، وبالطبع يشعر الكل بالبعد الروحى والعقائدى واللاهوتى فيها. وصلوات الأجبية بما فيها من مقدمة ومزامير وأناجيل وقطع تصلى فى صلوات المخدع الفردية الخاصة، كما تصلى فى العشيات والقداصات وياكر، ونصلى بها أيضاً فى إجتماعاتنا الروحية.

أمثلة لبعض صلوات الأجبية ترد بها مفاهيم عقائدية أرثوذكسية أصيلة ممتلئة بالإنسحاق أمام الله: "إذا كان الصديق بالجهد يخلص فأين أظهر أنا الخاطئ.. لأنى هأنذا بالأثام حبل لى وفى الخطايا ولدتتى أُمى" (قطع صلاة الغروب).

"ها هوذا الختن يأتى فى نصف الليل، طوبى للعبد الذى يجده مستيقظاً أما الذى يجده متغافلاً فإنه غير مستحق المضى معه" (قطع الخدمة الأولى من صلاة نصف الليل).

"إذا ما تقطنت فى كثرة أعمالى الرديئة، ويأتى على قلبى فكر تلك الدينونة الرهيبة، تأخذنى رعدة فأهرب إليك يا الله محب البشر" (قطع الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل).

ومن المزامير: "إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ النَّسْيَانِ! إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي. إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُومًا فِي نَفْسِي وَحُزْنًا فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ! إِلَى مَتَى يَرْتَعِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ. انْظُرْ وَاسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ إِلَهِي. أَنْزِ عَيْنَيَّ لَيْلًا أَنَامَ نَوْمَ الْمَوْتِ. لَيْلًا يَقُولُ عَدُوِّي: قَدْ قَوَيْتُ عَلَيْهِ. لَيْلًا يَهْتَفُ مُضَائِقِي بِأَنِّي تَرَعَزَعْتُ. أَمَا أَنَا فَعَلَى رَحْمَتِكَ تَوَكَّلْتُ. يَبْتَهِجُ قَلْبِي بِخَلَاصِكَ. أُغْنِي لِلرَّبِّ لِأَنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ" (مز ١٢).

هذه العبارات وغيرها الكثير يرد فيها الشعور بالتذلل أمام الله ومخافته، وضرورة أن يكون هناك جهاد روي مستمر، وضرورة السهر والإستعداد الروحي.. إلخ. وهي عبارات يرفضها من تأثروا بالتيار الخمسيني ولذلك يدعون أنهم ضامنين للخلاص حتى أنهم يهاجمون هذه المعاني في المزامير وصلاة الأجيبة.

كما أن أصحاب بدعة "تأليه الإنسان" لن يكون لهذه العبارات طعم أو مذاقة في أفواههم وفكرهم الممتلئ بالتعالى والعظمة والتأله.

ثالثاً التعليم الصحيح والرد على البدع

إن الإيمان الصحيح لا بد أن يسبق المعمودية كما سبق أن أوضحنا. لذلك إهتمت الكنيسة الأولى جداً بالتعليم وحددت للموعوظين زمناً (حوالى ثلاث سنوات) يتعلموا فيه أساسيات الإيمان، ويستقوا العقيدة القويمة، بل ويثبتوا فيها لدرجة الاستشهاد من أجلها. وكان لا بد من الإعتراف بالإيمان الصحيح قبل نوال سر المعمودية. وقد رفضت الكنيسة معمودية الهرطقة، لأنه لا خلاص خارج حظيرة الإيمان. فتقول قوانين الآباء الرسل (جُمعت ٣٩٠م):

"إن من تم تعميدهم بواسطة هرطقة لم يدخلوا فى العضوية. بل تدنسوا. هم لم ينالوا غفران الخطايا إنما رباط عدم التقوى."^٧

وفى كل مرة تعرضت الكنيسة الأولى لهرطقة كانت تنبرى لمقاومتها بالتعليم الصحيح وبعقد المجامع لحرم الهرطقة والمهرطقين، دراسة بسيطة للمجامع المسكونية وأسباب إنعقادها ونتائجها تعرفنا الكثير عن هذا الموضوع الهام.

⁷ Ante Nicene Fathers, Vol. VII, p. 456.

من هم الهرطقة في رأى الكتاب المقدس

• ذكر بولس الرسول إسمى شخصين إبتدعا بدعة لم تتكر الثالث ولا تجسد الكلمة وصلبه وقيامته لكن خاصة بموعد قيامة الأموات فقال "وَأَمَّا الْأَقْوَالُ الْبَاطِلَةُ الدَّيْسَةُ فَاجْتَنِبْهَا، لِأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ أَلَىٰ أَكْثَرِ فُجُورٍ، وَكَلِمَتُهُمْ تَرَعَىٰ كَأَكَلَةٍ، الَّذِينَ مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَفِيلَيْتُسُ اللَّذَانِ زَاغَا عَنِ الْحَقِّ، قَائِلِينَ: إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ صَارَتْ فَيَقْلِبَانِ إِيمَانَ قَوْمٍ" (٢تى ٢: ١٦-١٨).

• "وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الْأَزْمِنَةِ الْأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الْإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينٍ، فِي رِيَاءِ أَقْوَالٍ كَاذِبَةٍ، مَوْسُومَةً صَمَائِرُهُمْ" (١تى ٤: ١-٣).

مجرد أن قوم قالوا أن القيامة قد صارت اعتبرها بولس الرسول أنها إفساد لإيمان آخرين.

• وقال معلمنا بطرس الرسول عن رسايل بولس الرسول "بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضًا، مُتَكَلِّمًا فِيهَا عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءٌ عَسِرَةٌ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا، لِهَلَاكِ أَنْفُسِهِمْ" (٢بط ٣: ١٥، ١٦).

تحريف الأقوال التى وردت فى رسائل معلمنا بولس الرسول يعتبرها معلمنا بطرس أن ذلك لهلاك أنفسهم. ألا يمر علينا اليوم تحريف الكثير من أقوال الكتاب المقدس!؟

• "وَلَكِنْ كَانَ أَيْضًا فِي الشَّعْبِ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ، كَمَا سَيَكُونُ فِيكُمْ أَيْضًا مُعَلِّمُونَ كَذَبَةٌ، الَّذِينَ يَدُسُّونَ بَدَعَ هَلَاكِ. وَإِذْ هُمْ يُنْكِرُونَ الرَّبَّ الَّذِي اشْتَرَاهُمْ، يَجْلِبُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ هَلَاكًا سَرِيعًا" (٢بط ٢: ١).

ألا يعتبر مفهوم خلاص غير المؤمنين بغير إيمان ولا معمودية هو بدعة هلاك تنكر قيمة الخلاص والفداء الذى تممه ربنا يسوع المسيح!؟ ألا يعتبر مفهوم تأليه الإنسان هو بدعة هلاك تمنع الإنسان من ممارسة التوبة ومن الإنسحاق أمام الله ومن أن يتم الإنسان خلاصه بخوف ورعدة!؟

عن المصير الأبدى المبتدعين قال معلمنا بولس الرسول:

"وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ: الَّتِي هِيَ زِنَىٰ عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ. عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَرُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ. حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطْرٌ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الَّتِي أَسْبَقْتُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لَا يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (غل ٥: ١٩-٢١).

وقد حذر معلمنا بولس الرسول تلميذه تيموثاوس بقوله:

"لَأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتُ لَا يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحْكَةً مَسَامِعُهُمْ. فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيُنْحَرِفُونَ إِلَى الْخُرَافَاتِ" (٢تى ٤ : ٣، ٤).

لكنه يقول أيضاً:

"لَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَكُمْ بَدْعٌ أَيْضاً لِيَكُونَ الْمُرَكَّبُونَ ظَاهِرِينَ بَيْنَكُمْ" (١كو ١١ : ١٩).

إن العقيدة المسيحية اليوم أصبحت تواجه الكثير من المخاطر من الداخل وليس من خارجها فقط. بعض هذه المخاطر ليست جديدة ولكننا اكتشفناها في الآونة الأخيرة نتيجة كثرة ما صدر من كتب وضعتنا في مواجهة مع مآسى عقائدية مرعبة تحتاج منا إلى وقفة ومراجعة.

الرب يحفظنا في إيمانه المستقيم الذي تسلمناه من الآباء ويجعلنا من المزكين أمام الله.